**المحاضرة الرابعة التكوين النفسي للفرد المجرم**

ليس هناك من شك في أن ظاهرة الجريمة تعد من اخطر الظواهر الاجتماعية التي تهدد الكيان البشري في أمنه، واستقراره، بل وحياته وانطلاقاً من الخطورة التي تتسم بها هذه الظاهرة تجد علماء النفس يولون هذه الظاهرة اهتماماً منقطع النظير من حيث الدراسة حتى تمخضت هذه الدراسات عن نشوء عدة اتجاهات فكرية في دراسة الظواهر الإجرامية والبحث في حقائقها و من بين تلك النظريات نجد :

**3-1- مدرسة التحليل النفسي:**

هي المدرسة التي نشأت تحت تأثير أعمال و أبحاث كل من سيجموند فوريد (1856-1939)، والفرد أدلر (1870-1937)، لكن فرويد كان تأثيره أكثر وضوحا وغزارة، ولهذا سميت **“مدرسة التحليل النفسي”**أيضا بــ**” النظرية الفرويدية”.**و بدأ فرويد بالتأكيد على اللاشعور، وعلى ما أسماه بالدوافع اللاشعورية (القوية) وتأثيرها في سلوك الإنسان، وعلى أهمية مرحلة الطفولة المبكرة لدى الأفراد، وعلى الاضطرابات العاطفية والوجدانية عند الفرد، وعلاقتها بتفسير السلوك الإنساني، السوي منه والمريض على حد سواء. ولكنه ركز على مفعول امتدادات الاضطرابات اللاشعورية وتشعباتها في بروز أو ظهور الشخصية المرضية (نفسيا)، أو بروز و ظهور السلوك غير السوي، أو الشاذ أو الإجرامي. فمن منطلق التركيز على مرحلة الطفولة المبكرة في تشكيل الشخصية الفرودية، يرى فرويد في اللاشعور والكبت والحرمان، وعقدة الذنب وعقدة أوديب، وعقدة الكترا، والشعور بالنقص، أحد مظاهر الاضطرابات النفسية التي تؤثر في سلوك الإنسان، وحاول بواسطتها تفسير بعض السلوكيات والانحرافات والاختلالات العصابية والمرضية، بغض النظر عن الوضع والمحيط  الاجتماعي وبغض النظر عن تأثيرات المحيط الإجرامي( تأثير الثقافة الإجرامية) (خلفة سارة ، 2017،ص93).

**3-1-1- أقسام الشخصية عند سيغموند فرويد:**

حسب فرويد، الشخصية تنطوي أساسا على ثلاثة عناصر أساسية متصارعة ومتناقضة وهي: **الــــ”هو” (أو “هي”)**ID: أي الدوافع القوية لدى الفرد التي تبحث عن إشباع بأية طريقة، أو هي النزعة الأنانية أو مجموع الرغبات الفردية بشكلها البدائي، وحب الذات واللذات والشهوات، غير المسيطر عليها، وهو ما يعني الذات في صورها البدائية، أو الدوافع الفطرية للفرد، أو أصول الدوافع والغرائز التي تتطلب إشباعا فوريا وتمثل اللاشعور، أو العقل الباطن و**الأنا العليا “**SUPER EGO”: وهي عبارة عن الصور المثالية والفضائل الأخلاقية التي نتعلمها في الصغر، أو التي تلقنها العائلة للأطفال، وهي بمثابة الضمير الحي، والوازع المثالي وتمثل “ما فوق الشعور” لدى الأفراد (النزعة العلوية لدى الفرد) وهنا يكون الضبط داخليا وليس خارجيا. وأخيرا  **الأنا**“ego”: وهي الذات في صورها العاقلة (العقل الظاهر) المسيطرة التي تكبح جماح “الأنا العليا” (التي تهدف إلى الإسراف في المثالية، والتعالي عن الملذات والشهوات، وتدفع إلى الزهد والمزيد من الأخلاق المثل العليا) من جهة، والــ “هو/هي”، أو الرغبة في الملذات والشهوات والنزعة الأنانية، وإشباع الرغبات الفردية بدون حدود أو قيود، من جهة أخرى. وتمثل “الأنا” الإدراك والوعي لدى الفرد(خلفة سارة ، 2017،ص93)

وإذا عجزت ” الأنا” عن تسيير وتقويم كل من الــ”هو/هي” و”الأنا العليا”، وقع الإنسان في صراع داخلي، حيث يؤدي هذا الصراع في النهاية إلى تغلب إحداهما على الأخرى. فإما أن تتغلب “الأنا العليا” ويتجه الفرد بذلك إلى الزهد والتعبد، أي الابتعاد عن الواقع بطريقة أو بأخرى(وهذا في حد ذاته يعتبر سلوكا شاذا)، وإما أن تسيطر على “هو/”هي، أي الذات المفرطة في الرغبات والملذات، وبذلك يتجه الفرد إشباع رغباته وشهواته وملذاته وبدون قيد أو حدود وبكل الطرق، ومنها **الطرق الإجرامية** وهكذا يسلك الفرد سلوكيات غير سوية(ومنها السلوكيات الإجرامية)، كي يلبي كل ما تطلبه ذاته الأنانية. إن عجز “الأنا” عن أداء دورها الرقابي، التوازني، قد يؤدي إلى ظهور السلوكيات الانحرافية في صور وأشكال ودرجات مختلفة، وذلك يرجع إلى الاستعدادات الفردية(تأثير لمبروزو هنا واضح)، والى المحيط الاجتماعي، أو قد يؤدي العجز  عن التوفيق بين ـ”الهو/هي” والأنا العليا”، أي وجود “الأنا” غير المتكيفة في النفس البشرية، إلى الإحباط، ثم الإحباط الشديد، ومنه إلى السلوك العدواني أو الإجرامي حسب أصحاب النظرية (خلفة سارة ، 2017،ص93)

**3-1-3- نقد النظرية:**

**- لقد بالغ فرويد مبالغة غير معقولة في القول بالغريزة الجنسية والعقد الناجمة عنها وذهب مذهبا بعيدا ابتداء من تأويله لرغبات الطفل و ما استنتج ذلك من القول بالعقد النفسية ومنها ما يسمى بعقدة اوديب مما يدل على الهوس الفرويدي بالتفسير الجنسي لكل شيء و ليس السلوك المنحرف فقط .**

**- إن الأخذ بمنطق المدرسة التحليلية يقودنا إلى التسليم بحتمية الوقوع في الجريمة تبعا للصراع الذي يتم في الجانب اللاشعوري من النفس البشرية وما يصاحبه من خلل أو اضطراب نفسي ولكن هذا يتعارض مع اعتبار الجريمة مخلوقا قانونيا يتجاوب مع متطلبات الحياة الاجتماعية . (منصور رحماني ،2006 ، ص 79).**

**- كل الآراء التي قيلت في تفسير السلوك المنحرف تبقى مجرد فرضيات تحتمل الخطأ بنفس مقدار احتمالها الصواب إذ لا يوجد مقياس للتأكد من مدى صحتها أو خطأها كما هو الشأن في الدراسات العضوية والطبيعية بصفة عامة فالقول بأن السلوك الإنساني بما فيه المنحرف هو نتيجة حتمية للاضطرابات النفسية يصدق معه ضده وهو القول بأن الاضطرابات النفسية هي نتيجة حتمية للسلوكات التي يقوم بها الفرد لأن النفس كما تؤثر تتأثر أيضا واقتصار النظريات النفسية على جانب واحد فيه من القصور ما فيه .**

**- ما فعله فرويد من تقسيمه للنفس البشرية إلى ثلاث مراتب له نظير في التراث الإسلامي فقد قسم حامد أبو الغزالي قبل فرويد بنحو تسع قرون النفس إلى ثلاث مراتب و هي النفس الأمارة بالسوء و التي يسميها فرويد النفس ذات الشهوة و النفس اللوامة و هي الأنا الدنيا عند فرويد و النفس المطمئنة و هي الأنا العليا و كل هذه الأقسام مذكورة في القران الكريم .**

**- وقعت هذه النظريات فيما وقعت فيه النظريات العضوية من القول بأن العامل الواحد (العامل النفسي) و هذا يعبر عن قصوره لان الظاهرة الإجرامية متعددة العوامل .**

**- ربط فرويد الأحلام بشيء واحد و هو ما خزن في اللاشعور حيث تظهر هذا المخزنات الأحلام فهذا حتى و إن كان جزء منه صحيحا فان فرويد كعادته توسع كثيرا و قاده توسعه إلى الخوض في الحديث عن أصل الإنسان فيرى فروي دان الأحلام بقبة وراثة في النفس كما إن الزائدة الدودية بقية وراثة في الجسم فانا نحلم كما لو كنا نعيش قبل عشرين ألف سنة أي بنفسية تعيش في بيئة الوحوش والغابات والكهوف المظلمة ولذا نجد جملة من الأحلام فير مرتبطة ببيئتنا التي نعيش فيها و لا مرتبطة بالكتب التي نقراها (منصور رحماني ،2006 ، ص 80).**

**3-2- نظرية ألفريد أدلر: (1870- 1937(**

ينطلق ألفريد أدلر من  افتراض أن السلوك الإنساني نابع من تفرد الإنسان الذي تحركه الحوافز الاجتماعية وهذا التفرد ناشئ عن وجود الذات الخلاقة الهادفة في سلوكها لتحقيق غاية يخطط لها الإنسان بشكل شعوري واضح. ومن هنا كانت نظرية أدلر غائية لأن الأهداف هي السبب الذاتي للأحداث السيكولوجية، فهي تحرك في الإنسان الميل إلى التفوق والتغلب على نواحي النقص فيه بتنمية علاقاته الاجتماعية وهكذا تتضح الأبعاد النفسية الاجتماعية في نظرية أدلر ، حيث أكد أدلر سنة 1937 مؤسس علم النفس الفردي ” على ما لدى الإنسان من رغبة الانتماء إلى جماعة وحصوله على مكانة ومنزلة منها، في هذه الحالة أما أن تنمو لديه رغبة اتجاه السلطة والسيطرة أو يصاب بعقدة نقص وحينما يصبح الفرد على دراية بفشله وقصوره فانه غالبا ما يلجأ إلى تعويض شعوره بالنقص تعويضا مبالغا، وعلى ذلك قد يصبح الانحراف بالنسبة للفرد وسيلة لجذب الانتباه لذاته وتعويضا لما يعانيه من إحساس بالنقص أو الدونية، هذه العقدة إما تنتج عن الشعور بالدونية لوجود إما نقص جسماني أو عقلي أو اقتصادي، مما يثير في الفرد ردود أفعال عنيفة عند الفشل في التعويض عنها” كما عمد أدلر إلى تعديل نظريته، فمع تسليمه بإمكان ارتباط السلوك الفردي بعوامل نفسية معينة، فان هذا السلوك كما يعتقد تمليه الأهداف المقصودة منه، فهو يرى أن كل الظواهر النفسية  التي من شأنها أن تعين على تفسير السلوك الفردي يمكن فهمها وإدراكها، إذا نظرنا إليها على أنها تهيئ لتحقيق هدف معين، فالهدف النهائي للسلوك هو تحقيق احترام الذات وقهر الشعور بالنقص، يمكننا القول أن النموذج الغائي الذي يسعى أدلر إيضاحه قد يظهر بطرق مختلفة فحسب رأينا لكل نموذج  طموحاته وأحلامه، فقد يظهر في العمل على تحقيق المثل الأعلى الذي يتخذه الفرد لنفسه في الحياة أو للسعي وراء النجاح والعمل والعلم مثلا (خلفة سارة ، 2017 ، ص 100)

**3-2-2- نقد النظرية:**

رغم أن مدرسة أدلر في التحليل النفسي تبدو محدودة الأثر في تفسير المشاكل السلوكية بوجه عام، إلا أن أفكاره كانت محل انتقاد عند الكثيرين إذ سلموا  أن لكل فعل إجرامي  له كمبدأ عام –هدف لا شعوري أولا- ولكن تجدر الإشارة هنا إلى تلك الجرائم التي ترتكب بطريق الخطأ والإهمال فما الهدف منها؟ إضافة إلى أن أهداف الفرد من وراء سلوكه دائما لا تكون واضحة، فتبقى كامنة لا تكشف عنها أية مظاهر خارجية. (خلفة سارة ، 2017 ، ص 100).

**3-3- الأمراض النفسية و علاقتها بالسلوك الإجرامي :**

تعتبر اضطرابات عاطفية تنتج عن تجربة نفسية واعية في ذهن المريض أو كامنة في عقله اللاشعوري وهناك من يرى بأنها اختلالات جزئية في الشخصية ناشئة عن اضطراب نفسي وتتجسد في القلق النفسي والذي يبدأ بنوبات حادة من القلق كما تأت النوبة مرة أو أكثر أثناء مرض القلق وخصائصها الهامة هي السرعة التي تبدأ وتتطور فيها أعراضها ويسيطر على المريض خلالها شعور هلع وفزع وتخوف وتوقع وشيك بالتلاشي أو بالإغماء أو الشلل أو الموت وتصاحبها بعض الأعراض الحسية كسرعة النبض أو خفقان في الصدر والبطن أو جفاف الحلق أو صعوبة التنفس ، بالإضافة إلى مرض التسلط كبروز فكرة متسلطة في شكل نزعة متسلطة نحو الحرق وهو ما يطلق عليه اسم نزعة الحريق حيث يجد المريض في نفسه دافعا قويا لا يستطيع مقاومته يدفعه بقوة نحو إحداث حريق فيقوم بذلك مرغما أما الهستيريا وينشأ هذا المرض عن رغبة غير واعية ذات طابع جنسي للمصاب به وقد تنشأ بسبب اثارات غير واعية وغير جنسية أيضا وتحدث نوبات هستيرية كتصدع الوعي المجسد في النومشة كان ينهض المريض من نومه و يمشي ويرتكب أعمال انحرافية (الحرق ،الاعتداء) ثم يعود للنوم مرة أخرى و عندما يستفيض لا يعي شيء ، أما ازدواج الشخصية يصيب المريض الذي يجعله يعيش شخصيتين متناقضتين في جسد واحد فغالبا إما تكون إحداهما خيرُة و تسعى للخير أما الأخرى شريرة و تسعى للانحراف.(أكرم نشأت إبراهيم ، 2011،ص-ص84،86)

**3-4 –التخلف النفسي و علاقته بالسلوك الإجرامي :** بلغت الصلة بين التخلف النفسي و الجريمة حدا من التوثيق بحيث يمكن القول بأنه حيث وجد التخلف النفسي توجد الجريمة فالتخلف النفسي هو دوما مرتع خصب للجريمة ذلك لأن خصائص التخلف النفسي هي مقومات الجريمة وقد اجتمعت في مكان واحد فبالنسبة للمتخلف النفسي فان العبرة لا تعظ والعقاب لا يقوم و المستقبل لا يعني و الحاضر وحده هو الزمن كله واللذة الفورية هي الدافع و الهدف فلا غرابة أن يكون المتخلف النفسي فارسا في كل حلبة من حلبات الإجرام فالسرقات و الاحتيال و أنواع الإيذاء و الاعتداء كلها أو بعضها أو غيرها من أوجه نشاطه المعتاد يقدم عليها دون تردد و لا تقف جرائمه عند حد و لو كان القتل ( احمد محمد خليفة ، 1955 ، ص ص 173 ، 174)

**3-5- الغرائز و اختلالاتها الإجرامية :**

تتمظهر هذه الاختلالات في الغريزة الجنسية و المقاتلة و الاجتماع فالغريزة الجنسية سواء في جموحها او ما يعرف بالشبقية عند الذكور والغلمة عند الإناث تنشأ عن تضخم الطاقة الانفعالية للغريزة الجنسية فالمصاب بالجموح الجنسي تحدوه رغبة شديدة في إشباع الشهوة مما يدفع هؤلاء إلى ارتكاب جرائم الاغتصاب و ممارسة البغاء و جرائم الفساد أما الخمود الجنسي فيؤدي إلى العزوف عن العملية الجنسية مما ينجر عنه فشل بعض الأزواج والوقوع في الطلاق أو الدفع بالطرف الذي تكون له رغبة جنسية طبيعية إلى الخيانة الزوجية ما ينجم عنها من شكوك تنتهي في الكثير من الأحيان بالعنف أو حتى القتل ، أما الانحراف الجنسي فتتمظهر حالته في المثلية الجنسية و الاعتداء على الأطفال و الحيوانات ....الخ.أما غريزة المقاتلة فتضخم طاقة انفعال الغضب تجعل صاحبها عاجزا عن كبح غضبه مما ينجر عنه سلوكات عدوانية قتالية مشحونة بالعنف و مجسدة بالسب و الشتم و الضرب و الجرح أو حتى القتل أما اختلالات غريزة الاجتماع فخمودها يؤدي إلى عدم التعاون ويضفي على صاحبها عدم المبالاة بقواعد وسلوكات العيش و القيم المنصوص عليها اجتماعيا مما يؤدي إلى التمرد على معايير المجتمع و الوقوع في سلوكات مجرمة قانونيا و عرفيا .(علم النفس الجنائي ،universitylifestyle.net ،2020)

**3-6- العواطف و انحرافاتها الاجرامية :**

مثلما يكتسب الإنسان عواطف سوية صالحة مفيدة تسمو به إلى مكانة رفيعة في المجتمع كعواطف حب الوطن والخير والاحترام والفضيلة فانه يكتسب عواطف رديئة منحرفة تسوقه إلى مسالك الانحراف والإجرام كعواطف حب الشر والرذيلة والفساد المتمثلة بالتردد على أوكار البغاء وصالات القمار وحانات الكحول وتعاطي المخدرات لاسيما إذا كانت إحدى هذه العواطف الرديئة هي العاطفة السائدة لدى الفرد ،كما أن عاطفة اعتبار الذات التي تعتبر بحق ضمانة لحسن السلوك قد تنحرف بسبب ضعف فكرة الشخص عن نفسه فتؤدي إلى انطلاق نزعاته الضارة على أهوائها دون رقيب بعد أن ارتضى لذاته مستوى منحطا فيعكر صفو المجتمع بتصرفاته المنافية للخلق السليم والضار بالآخرين مما يعتبر في اغلب الأحوال جرائم كما قد يؤدي الغلو في عاطفة اعتبار الذات إلى تسلط الغرور والكبرياء على نفس صاحبها فيدفعه إلى عدم المبالاة بنظم الجماعة والإقدام على تصرفات تدخل أحيانا في عداد الجرائم (أكرم نشأت إبراهيم ، 2011،ص102).

العوامل النفسية للجريمة لاقت اهتماما ملحوظا من قبل العديد من الباحثين والمختصين في هذا المجال خاصة في العصر الحديث فاليوم تتجه العديد من الدراسات إلى وجهة نفسانية وعلاقتها بتشكيل نفسية المجرم ولكن ما يؤخذ على هذا الاتجاه أيضا مغالاته في الانحياز للعوامل النفسية إلى حد غيًب اثر العوامل الاجتماعية التي تمثل محورا هاما في تفسير طبيعة الإنسان المجرم خاصة وأن الإنسان يولد صفحة بيضاء ويتلقى قيمه ومثله ومعاييره و مبادئه من المجتمع الذي ينتمي إليه لذلك فالإنسان ابن بيئته وتساهم في حد كبير في تحديد شخصيته مستقبلا وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل التالي حول العوامل البيئية وعلاقتها بالسلوك الإجرامي .

**قائمة المراجع المحاضرة الرابعة :**

**-** أكرم نشأت إبراهيم (2011): علم الانثربولوجيا الجنائي ،دار الثقافة للنشر و التوزيع ، عمان ،ط2.

- احمد محمد خليفة (1955) : أصول علم النفس الجنائي ، دد، دط ، بغداد .

- خلفة سارة ( 2017):الجريمة من وجهة نظر التحليل النفسي ( سجموند فرويد و ادلر) ، مجلة جيل العلوم الإنسانية و الاجتماعية

- منصور رحماني (2006) : علم الإجرام و السياسة الجنائية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط